أقدم نظم الاستبدال في العالم الإنساني

نظام الهدايا الملزمة

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

يقتضي أسلوب " الهدايا الملزمة " أن تجري المبادلات في صورة هدايا تقدمها الجماعات والأفراد بعضهم إلى بعض في مناسبات معينة كثيرة الحدوث والتكرر: (الولادة، الزواج، الختان، حلول عيد ديني... الخ)، وينزل قبولها منزلة التزام من جانب المهدي إليهم أن يردوا إلى المهدين في مناسبة أخرى هدية تزيد قيمتها غالباً عما قبلوه منهم.

وقد عثر علماء الإتنوجرافيا " دراسة النظم الإنسانية البدائية " على هذا النظام في أوضح صورة عند كثير من عشائر الهنود الحمر، وعند السكان الأصليين لاستراليا وبولينزيا وميلانزيا، وعند كثير من زنوج أفريقيا الوسطى ـ ويغلب على الظن أنه كان النظام السائد في التبادل عند مختلف الشعوب في العصور الإنسانية الأولى.

ومن أهم أشكال هذا النظام وأكثرها دقة وانتشاراً شكلان، وهما: " الكولا،Kula و " البوتلاتش " Potlatch

* * *

أما " الكولا " (1) فيجري العمل به بين السكان الأصليين لكثير من جزر ملانيزيا، ويمتاز هذا النظام بدقته، وتحقيقة لأغراض اقتصادية ذات بال، وقيامه على مبدأ توزيع العمل وتبادل الثروات بين العشائر والشعوب، وذلك أنه يتضمن مهاداة متبادلة في مواسم معينة وفي مناسبات خاصة ببعض حاصلات الصيد والصناعة من قبائل تكثر لديها هذه الحاصلات إلى أخرى محرومة منها، فهو من هذه الناحية أشبه شيء بالتجارة الخارجية ـ التجارة بين الأمم ـ في عصورنا الحديثة.

---

(1) كلمة مأخوذة من لهجات الميلانيزيين، ومعناها الاصلي: المدائرة.